الأستاذة: كعبش ريمة

المقياس: مقاربات نقدية معاصرة

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات أدبية

بتاريخ:08 -04-2021

التطبيق رقم7: الأسلوبية عند ميشال ريفاتير

1- التعريف بميشال ريفاتير:

هو ناقد أدبي لساني بنيوي أمريكي، و أستاذ في جامعة كولومبيا، وضع كتابه: الأسلوبية البنيوية عام 1971، ثم أتبعه بكتاب صناعة النص عام 1979، و فيه يرى أنه ليس من نص أدبي دون أدبية، و لا أدبية دون نص أدبي.

2- الأسلوبية عند ميشال ريفاتير:

يعتبر ميشال ريفاتير من أبرز الباحثين في الدراسات الأسلوبية الحديثة، فقد قدم العديد من الأفكار و المبادئ التي تفاعلت بمجملها مع أفكار غيره المصنفين في دائرة الأسلوبية البنيوية و سواهم من الضالعين في سبر أغوار الأسلوبية و سبك بنائها المتماسك من نواحيه.

و بالفعل، فقد وضع ريفاتير مجموعة قيمة من الأسس استطاعت أن تشق طريقها و تثبت ذاتها، و تقدم للباحثين أضواء ساطعة كاشفة.

ركز ريفاتير على جملة من القضايا الهامة، و تكلم على عدد من الظواهر الأسلوبية البارزة في النص، و لفت إلى الجمل التي تستوقفنا كقراء و تلفت انتباهنا، معتبرا أن الأسلوب يعد إبداعا من المنشىء و إرجاعا من المتلقي ، فالمبدع يسعى للفت انتباه المخاطب و الوسيلة هي شيفرات تستوجب كشفا من القارىء.

مفهوم الأسلوب عند ريفاتير:

يصنف ريفاتير مع الأسلوبية البنيوية و من الذين يقولون بأن الأدب شكل راق من أشكال الإيصال، و أن النص الإبداعي ما أن يتم خلقا و يكتمل نصا حتى ينقطع عن مرسله لتبقى

العلاقة بين الرسالة و المستقبل زمنا لا يتنتهي دوامه. و هو بذلك خالف ياكبسون الذي يهتم بالمرسل و المرسل إليه و ينصب اهتمامه بالدرجة الأولى على القارئ دون أن ننسى الوظيفة الشعرية.

و يعتبر ريفاتير من المجددين في التنظير الأسلوبي بمقالاته التي نشرها في بداية الستينات ثم جمعت و استكملت في أوائل السبعينيات من القرن الماضي في كتابه مقالات في الأسلوبية البنيوية.(Essais de stylistique structurale)

و يعرف ريفاتير الأسلوب بأنه: (إظهار عناصر المتوالية الكلامية على اهتمام القارئ) و تظهر من كتابات ريفاتير أن الأسلوبية ما هي(سوى هذا التأثير المفاجئ الذي يحدثه اللامتوقع في عنصر من السلسلة الكلامية بالنسبة إلى عنصر سابق). و يستشهد ريفاتير ببيت شعر لكورني: (هذه عتمة مضيئة تسقط نجوما) و يقول : هذه مفارقة غير متوقعة.

و لا شك أن ريفاتير أحسن كثيرا بالاستشهاد بهذا النص الفريد، فمن حيث التباين الظاهر يقع القارئ في حيرة بين الضوء و العتمة و الاستعارة غير المتوافرة في تكتيك شعري فريد ينقل المتلقي من حيثيات الكلمات المعتادة إلى أفق جديد غير متوقع، و هذه الصدمة المفاجئة التي تحدث لدى المتلقي هي المقصودة من فعل التغيير المنطقي للكلمات المتتالية في السياق، و يرى البعض أن هذه الطريقة هي بنية ثنائية متباينة منتظمة في زمن التكون التتابعي للنص.

و يقدم ريفاتير في كتابه أسلوبية البنيوية تعريفا محددا للأسلوب يتولى بعد ذلك شرحه و التعليق عليه، فيقول : يفهم من الأسلوب الأدبي كل شكل مكتوب فردي ذي قصد أدبي أي أسلوب مؤلف ما أو بالأحرى أسلوب عمل أدبي محدد يمكن أن نطلق عليه الشعر أو النص و حتى أسلوب مشهد واحد.. و يعلق المؤلف نفسه على تعريفه هذا بقوله: إن هذا التعريف محدود للغاية و كان من الأفضل أن نقول بدلا من (شكل مكتوب) كل شكل دائم ، حتى يشمل الآداب الشفاهية التي لا تستمر نتيجة للحفاظ المادي عليها كشكل نصي متكامل فحسب، بل بوجود خواص شكلية فيها تجعل من الميسور فك شفراتها، مثل : الافتتاحية الموسيقية بطريقة منظمة و مستمرة ، و قابلة لأن نتعرف عليها بالرغم من أي تنويعات أو أخطار في طريقة عزفها أو تفسيرها من مختلف القراء.

أما قوله: (ذو قصد أدبي) فلا يشير في هذه الحالة إلى ما أراد المؤلف أن يقوله و لا يهدف إلى التمييز بين الأدب الجيد و الرديء و لكنه يعني أن خواص النص المحدد تدل على أنه ينبغي اعتباره عملا فنيا و ليس مجرد تعاقب كلمات.

من هذه الخواص شكل الطباعة و شكل الوزن و علامات الأجناس الأدبية و العناوين الفرعية

مثل رواية أو قصة، أو حتى ظهوره في الوقت الحاضر في مجموعات معينة قصصية أو مسرحية أو شعرية.

و يبدو أنه بالنسبة لريفاتير أن نطلق كلمة الأدب على كل كتاب ذات طابع أثري أي كل كتابة تجذب انتباهنا بصياغتها وشكلها.
ثم يعود إلى تعريفه للأسلوب قائلا:

و هنا نفهم من الأسلوب كل إبراز و تأكيد سواء أكان تعبيريا أو عاطفيا أو جماليا يضاف إلى المعلومات التي تنقلها البنية اللغوية دون التأثير على معناها. و يشرح كلماته فيما بعد مشيرا على أن هذا التعريف لا يتميز بالمهارة اللازمة لأنه يبدو كما لو كان يفترض معنى أساسيا لونا من ألوان درجة الصفر –على حد تعبير بارت– تقاس عليه عملية التكثيف التي نسعى لتقييمها، و لا يمكن أن نصل إلى هذا المعنى الأساسي إلا عن طريق نوع من الترجمة أي عن طريق تحطيم النص كشيء أو نقص القصد منه أي استبعاد النص المكتوب و إحلال فرض يدور حول المؤلف حوله. ثم يضيف: (لكنني كنت أفكر في نوع من الكثافة التي يمكن أن تقاس عند كل نقطة من القول في المحور التركيبي طبقا للمحور الاستبدالي حيث تعد الكلمة الماثلة في النص (أقوى) بشكل أو بآخر من نظيراتها أو مترادفاتها الممكنة دون أن يؤدي هذا إلى خلل في المعنى، لكن هذا المعنى – مهما كان المستوى اللغوي الذي ننظر إليه من خلاله– لا بد أن يختلف بما يسبقه و ما يلحقه). و يردف قائلا: (و ربما كان من الأوضح و الأدق أن نقول أن الأسلوب هو البروز الذي تفرضه بعض لحظات تعاقب الكلمات في الجمل على انتباه القارئ بشكل لا يمكن حذفه دون تشويه النص و لا يمكن فك شفرته دون أن يتضح أنه دال و مميز مما يجعلنا نفسر ذلك بالتعرف فيه على شكل أدبي أو شخصية المؤلف أو ما عدا ذلك. و باختصار فإن اللغة تعبر و الأسلوب يبرز.

مقولات ريفاتير:

- **الأشكال الفردية:**

الأشكال الفردية عند ريفاتير بالنسبة للأسلوب كالكلام بالنسبة للغة، فدراستها تسمح بالحصول على البيانات اللازمة لإقامة النظام و عندما يستخدم المؤلف عناصر اللغة الأدبية لإحداث تأثير خاص تتحول إلى عناصر أسلوبية و ميزتها تكمن في هذا التنفيذ الخاص لقيمتها لا في قيمتها المحتملة في نظام موحد. و لو لم تستخدم لإحداث تأثير محدد فإن أقصى ما يقال حينئذ إنها تمثل خلفية سياقية متخصصة بالنسبة للأسلوب الفردي أكثر من القول العادي. على أن الأساليب الفردية في الكلام يصعب في أحسن الحالات وصفها و يسهل وضعها في أنماط

عامة، مما يجعلها أقل تخالفا فيما بينها و أقرب إلى اللغة العامة من الأساليب الكتابية، أما الأساليب الأدبية فهي معقدة متشابكة، و لهذا فهي ذات ملامح يمكن تمييزها بوضوح.

وعي المؤلف:

و يرى ريفاتير أنه إذا كانت مهمة عالم اللغة تنحصر في الإمساك بجميع ملامح القول دون استثناء فإن دارس الأسلوب ينبغي له أن يعتد فحسب بتلك الملامح التي تنقل المقاصد الواعية للمؤلف، مما لا يعني أن وعي المؤلف يشمل كل ملامح القول. و غالبا ما يستحيل التعرف على هذه المقاصد دون تحليل الرسالة مما يمكن أن يؤدي إلى حلقة مفرغة لولا أن هذه المقاصد ربما تتضح بإجراءات أخرى، مثل التحليل الفيلولوجي أو تصريح المؤلف بها و غير ذلك من الإشارات.
كما يرى أن هذا التمييز بين الاختيارات الواعية و اللا شعورية لا يفيد إلا في حالة دراسة كيفية توليد الأسلوب، إما في دراسة ظاهرة الأسلوب نفسها، فإن جدواه ضئيلة للغاية، إذ لا يمكن الوصول فيه حينئذ إلى نتائج حاسمة.

- **الفرادة في العمل الأدبي:**

يذهب ريفاتير في كتابه (إنتاج النص) باحثا عن سمة الفرادة في العمل الأدبي و من أجل الوقوف على هذه السمة يقترح مقاربة شكلية و يذكر أن التحليل الذي يعتزم إجراؤه لا علاقة له بالأسلوبية المعيارية القديمة أو البلاغة، و إذا كان ريفاتير للبلاغة مفارقا فإنه أيضا من النقد الأدبي نفور.

و ليس ذلك منه إلا لأنه لا يريد أن يجعل من التحليل مطية تعلوها أحكام القيمة، و ما هذا الموقف بدعا، فمنهجه في التحليل يقف عند الظاهرة و يتحقق من وجودها، و أما النقد فيأتي بعد ذلك أي بعد هذه الخطوة فيتبنى الظاهرة التي وقف عليها و تحقق من وجودها. و لكن ريفاتير عندما عمد إلى دراسة سلوك الكلمة في العمل الأدبي، لاحظ أن سمة قرابة تجمع بين دراسته التحليلية و الدرس اللساني، غير أنه أكد أن السمات الخاصة بالعمل الأدبي تتطلب أن يبقى التحليل النصي و اللسانيات مختلفين ضمن هذا التقارب نفسه.

و لتعليل هذا الأمر يرى أنه لا يكفي أن نلجأ إلى اللسانيات فقط لدراسة الأدب، ذلك لأن العمل الفني يطرح على اللسانيات قضية غير لسانية، ألا و هي الأدبية.
و يلاحظ ريفاتير أن ثمة محاولة قامت لحل هذه القضية و ذلك بتعميم الوقائع التي تم الكشف عنها في النصوص من جهة و باستخلاص القواعد الخاصة باللغة الشعرية من جهة أخرى.

و قد كانت غاية هذه المحاولة – كما يرى ريفاتير– تكمن في وضع التعبير الأدبي في إطار نظرية عامة للإشارات، غير أنه لم يلبث أن وجد في هذه المحاولة مطعنا جعله يعرض عنها، و يمكن أن نستدل على هذا الأمر بقوله: (إن هذا البحث الذي هو ميدان الشعرية، لا يستطيع أن يكشف عن السمة الخاصة بالرسالة الأدبية)، و هو يرى(أن الشعرية تعمم هي الأخرى على حين أن طبيعة الرسالة هي النص).

المراجع:

– ينظر: الأستاذ الدكتور موسى ربابعة: الأسلوبية عند ميشال ريفاتير(مقال إلكتروني)

– ينظر: ميشال ريفاتير: معايير تحليل الأسلوب، ترجمة حميد لحميداني

– ينظر: مدخل إلى علم الأسلوب، شكري عيّاد / دار العلوم – الرياض 1402هـ.

– ينظر: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، د. أحمد درويش/ دار غريب– القاهرة

– ينظر: الأسلوبية و نظرية النص، د. إبراهيم خليل/ المؤسسة العربية للدراسات و النشر– بيروت الطبعة الأولى 1997م

– ينظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عيّاشي/ مركز الإنماء الحضاري–سوريا الطبعة الأولى 2002م

– ينظر: الأسلوبية ، بيير جيرو. ترجمة: د. منذر عياشي/ مركز الإنماء الحضاري–سوريا الطبعة الثانية 1994م

– ينظر: علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل/ دار الشروق– القاهرة الطبعة الأولى 1998م